# منهجية دراسة العقيدة الاسلامية
# من مصادرها الأصلية دراسة عقدية

د. مختار عطا المنان علي

**المقدمة:**

دعت جميع الرسالات إلى عبادة الله تعالى وذلك من الخلق بصورة عامة ومن البشر بصورة خاصة. ولكن لا سبيل لمعرفة مراد الله ﷻ في العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج إلا من خلال الرسل عليهم السلام. كما لا طريق إلى الوصول للمسائل الاعتقادية والإيمانية كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إلا من خلالهم عليهم السلام . ولقد ضرب العلماء في شتى مسائل علوم الدين . وفي هذه الدراسة نتناول بإذن الله تعالى مسائل التوحيد والعقيدة الإسلامية وبالله التوفيق.

**أهمية الموضوع:**

تكمن أهمية هذا البحث في التالي:

١- تقريب الأفهام لغير المتخصصين في مسائل العقيدة خاصة ولأوليك الذين يتهيبون من دراستها أو يستصعبونها بميسرات أبين فيها أهمية دراسة العقيدة لسائر المسلمين للمختصين فيها ولغيرهم وضرورتها.

٢- تبين وحدة مصادر العلوم الإسلامية بلا فوارق بين العلوم العملية والعقدية إذ الكل مصادره الكتاب وما صح من السنة.

٣- كما تهدف هذه الدراسة إلى وحدة مناهج استنباط الاحكام عقدية كانت أم فقهية فالأصول واحدة وتصلح لاستنباط سائر الأحكام.

**سبب اختيار الموضوع:**

١- موضوع البحث يتعلق بعقيدة المسلمين فلا بد من ابراز مفهوم العقيدة الصحيح.

٢- ابراز مكانة هذا العلم الجليل والحث على تيسيره لينالـه كافـة المسـلمين ولا يقتصر على المتخصصين وتيسير اللغة التي كتب بها خاصة أن علماء التوحيد كانوا يتناولونـه بسلوب المضنون به على غير أهله.

**اهداف الدراسة:**

١- ابراز مصادر الدين الإسلامي ( الكتاب والسنة ).

٢- كيفية استنباط الأحكام العقدية من المصادر الإسلامية .

٣- تبيين لمنهج الراسخين في العلم و طرق الوصول إليه.

٤- تبيين ملامح مناهج الزائغين فعلى كثرتها ولكن هنـاك قواعـد مشـتركة تجتمـع عنـد أغلبهم.

**منهج البحث:**

١- يقوم هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي.

٢- عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقم الآية.

٣- تخريج الأحاديـث الـواردة في البحـث مـن مظانهـا الأصـلية أو مـن كتـاب جـامع للأحاديث من ما اتفقت عليه الأمة.

٤- الفهارس الضرورية و تشتمل على المصادر والمراجع وفهرس للموضوعات.

**الدراسات السابقة:**

كثيرون هم الذين كتبوا في تأصيل العقيدة من السابقين واللاحقين لكن هذه الدراسة تتميز بكونها جامعة لأهمية علم التوحيد ولمصادره ولمنهج دراسته التأصيلية من تلك المصادر الإسلامية وأحسب أن هذه اضافة أقدمها لجمهور المسلمين وأسأل الله أن يثبت الأجر.

**هيكل البحث:**

يتكون هذا البحث من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

**المقدمة تشتمل علي مقدمة ومباحث:**

**المقدمة وتشتمل على:**

( أهمية الموضوع –اسباب اختيار الموضوع – منهج البحث – الدراسات السابقة).

**المبحث الأول:** مدخل دراسة العقيدة الإسلامية وتعريفاتها:

ويشتمل على ثلاثة مطالب.

**المبحث الثاني** : مصادر العقيدة الإسلامية:

ويشتمل على مطلبين.

**المبحث الثالث:**استنباط الأحكام العقدية من المصادر الإسلامية.

ويشتمل على مطلبين.

خاتمة وتشتمل على: ملخص البحث وأهم نتائجه والتوصيات.

## المجث الأول

## المدخل لدراسة مسائل العقيدة وتعريفاتها

### المطلب الأول: المقصود بالعقيدة الإسلامية

**العقيدة الحقة تعني**: الاعتقاد القلبي الجازم في الله تعالى والإيمان به وبملائكته وكتبهٖ ورسله واليوم الآخر. كما دعا إليها سيدنا محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء عليهم السلام. الذي دعت إليه جميع الرسالات السماوية الداعية إلى المعرفة بالله تعالى وكونه موجود قديم باق لا يشبه المخلوقات غني عما سواه منزه عن الشريك متصف بصفات الجلال والكمال قادرا عالما مريدا متكلما سميعا بصيرا مستحقا للعبادة.

والله تعالى فطر لإنسان بشعور باطني يعلم به أن لهذا العالم ربا خالقا ودعم هذا الشعور بما نصبه له من الأدلة الكونية التي تنطق بأنه لا خالق لها إلا الله تعالى. كما قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١).

**كما دلل تعالى على وحدانيته فقال:** ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ (٢) وسمى نفسه بأسماء وبينها لنا لندعوه بها فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا

(١) سورة البقرة الآية :١٦٤.

(٢) سورة محمد الآية ١٩

يُشْرِكُونَ ﴾ [1] ووصف نفسه بصفات تليق بجلاله وعظمته ثم أرسل الرسل لتبين كل ذلك. وأوجب علينا بواسطتهم الإيمان بكل ذلك وأخبر تعالى بمغيبات لا تعرف إلا بهم كالملائكة والجن والموت والبعث واليوم الآخر.

**المطلب الثاني: التوحيد في اللغة والاصطلاح**

**التوحيد في اللغة**: يعني العلم بأن الشيء واحد.

**والتوحيد في الاصطلاح**.: أوسع ما لدينا من التعريفات الاصطلاحية للتوحيد ما أورده التهاوي في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي. قال التهانوي[2]:

١- هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتا وصفاتا وأفعالا.

٢- هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه.

٣- هو الفن المدون فيما يختص بعلم التوحيد.

وعلى الجملة فعلم التوحيد هو علم يدرس أمهات العقائد الدينية التي يجب اعتقادها على كل مسلم ومسلمة.

**الأسماء الموضوعة للتوحيد:** يسمى بأصول الدين وسماه أبو حنيفة بالفقه الأكبر ويسمى بعلم النظر والاستدلال وغلب عليه اسم علم الكلام

(١) سورة الحشر الآية ٢٣

(٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي اشراف العجمي مكتبة لبنان ج١ ص ٥٢٨ - ٥٢٩

**أسباب تسميته بعلم الكلام**: قيل سمي بعلم الكلام لأن مباحثه كانت تبدأ بقولهم الكلام في كذا الكلام في كذا حسب الموضوع الذي يطرح في كتب التوحيد. وقيل لأن أغلب مسائله كلامية في مقابل الفقه الذي غلبت عليه المباحث العملية، وقيل لأنه يورث صاحبه القدرة على الكلام وإلزام الخصوم، وقيل لأنه أكثر العلوم خلافا وخصومة وجدلا ونزاعا فيحتاج صاحبه إلى قدرة كلامية عالية للرد على المخالفين.

**الفرق بين علم الفقه وعلم التوحيد**: علم الفقه هو علم يتعلق بالأحكام العملية ويسمى بعلم الشرائع والأحكام. والتوحيد هو العلم الذي يتعلق بالأحكام العقدية ويسمي بعلم التوحيد وعلم النظر والاستدلال واشتهر باسم علم الكلام،

**أسباب نشأة علم التوحيد**: بعد أن مرة زمن الرسول ﷺ والأوائل من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم بما فيه من بركة النبي أو قرب العهد به . و كان الصحابة ينهلون من النبع الطاهر ويهتدون به ﷺ . وكان الرسول ﷺ يرد عن كل أسئلتهم ويزيل الخلاف الذي يستجد فيهم. فقلت الوقائع والاختلافات في ذلك الزمن الطيب. ولما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها وعقائدهم ثابتة إما بما يفهمونه من الكتاب أو ما تبينه السنة المطهرة. واستمر الأمر في المسلمين كما كان في عهد النبوة والصحابة ﷺ والتابعين حتى حدثت الفتن بين المسلمين وظهر الخلاف والميل إلى البدع وتغلبت الأهواء على مقررات الوحي. كما دخل في الإسلام من أهل الأديان الأخرى ممن أراد الكيد والهدم من الداخل فانتشرت الشبهات بين المسلمين.

فتصدى لها المخلصون من أهل الإسلام بالنظر والاستدلال والاجتهاد واستنباط الأحكام في ما استجد لهم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم على أسس ما تركه لهم. ففصلوا معنى الإيمان ويسروا لإدراك العقيدة وحددوا المعاني الغامضة التي وردت في الكتاب والسنة فيما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته واليوم الآخر وما فيه من أهوال وبينوا طرق النجاة منها.

ثم دخل جانب الدفاع في مهمة علم التوحيد لرد الحملات المتواصلة التي تثار ضد الإسلام ورجاله. وتوصلوا إلى أصول خاصة بالتوحيد سموها أصول الدين أو الفقه الأكبر أو علم النظر والاستدلال وغلب عليه أسم علم الكلام.

**موضوع علم التوحيد:** موضوعه ذات الله تعالى يبحث في صفات الله تعالى الثبوتية والتنزيهية. وفي أفعاله في الدنيا. كخلق العالم وحدوثه وما يتوصل به إلى إثبات وجوده تعالى وتأكيد جلال صفاته تعالى. وأفعاله في الآخرة كالبعث والحشر والحساب والثواب والعقاب والآخرة من حيث اعتقادها. كما يبحث علم التوحيد في الوجود من حيث هو موجود والممكن من حيث هو قابل للوجود بقدرته تعالى.

**مرتبة علم التوحيد:** شرف العلم يستلزم شرف موضوعه. فإذا كان موضوع علم التوحيد تنزيه الباري تعالى في ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله.فينبغي أن يكون علم التوحيد أشرف العلوم على الإطلاق. فيكون بذلك هو العلم الأعلى الذي تنتهي إليه العلوم ولهذا سمي بأصول الدين وسماه أبو حنيفة بالفقه الأكبر.

**الغاية من علم التوحيد:** الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة اليقين، وإرشاد المسترشدين بإقامة الحجة لهمأ وإفحام المعاندين بإقامة الحجة عليهمأ وحفظ قواعد الدين بحيث لا تزلزلها

شبه المبطلين. وعلم التوحيد تبنى عليه القواعد الشرعية وبه يمكن إثبات أن الله عالم مرسل للرسل منزل للكتب . ولا سبيل المعرفة بالله تعالى بالبراهين القطعية ولا معرفة لبقية العلوم الإسلامية من فقه وتفسير وحديث بدون العلم بالتوحيد.

**المطلب الثالث: مباحث علم التوحيد**

من خلال معرفتنا لموضوع علم التوحيد نستطيع أن نحدد مباحثه التي تتعلق بالله تعالى ذاتا وأسماء وصفاتا وأفعالا. ولتحديد ذلك نجد أن علماء التوحيد حددوا مباحثه في خمسة مباحث لا تزيد. ولكنها تتفرع.

**العلم بالله تعالى**: ويشتمل على التعريف بذات الله تعالى وبأسمائه وصفاته ومباحث الإسلام والإيمان ومرتكب الكبيرة ومبحث رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة وكلامه سبخانه و تعالى القضاء والقدر خيره وشره من الله وغيرها من المباحث التي أثارت جدلاً كلامياً في أوساط علماء الأمة.

يشتمل على توضيح حاجة الناس إلى هداية الرسل والتعريف بهم وبصفاتهم والواجبة لهم والمستحيلة عليهم والجائزة في حقهم والدليل على صدقهم ودليل صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ خاصة وما تتميز به رسالته ﷺ عن بقية الرسالات من شمول وعموم وحفظ وختم ورحمة.

كما تعتبر السمعيات من أهم المباحث التي تحتاج إلى علم التوحيد ذلك لأنها من الغيبيات التي لا يمكن للعقل الإنساني التوصل إليها فالعقول مهما أوتيت من حدة تعجز عن الوصول إليها إلا عن طريق السمع وينحصر دور العقل في إثبات إمكان وجودها ذلك لأن الله تعالى خلقها ثم غيبها عنا ولا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق السمع من نبي صادق ثبت صدقه

بقواطع الأدلة مثل الملائكة والجن والحياة الآخرة وما فيها من أهوال وما أعد فيها من نعيم لأهل الطاعات وعقاب لأهل الكفران والمعاصي

كما يجب الاعتقاد أن كل ما سوى الله تعالى من الموجودات والممكنات وعلومها من صنع الله تعالى الطبيعية بكل ما فيها من الفلك وما فيها أرض وبحار ويابسة وإنسان وحيوان وكل ما يدل على قجرته تعالى :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١) وقوله تعالى﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (٢) يقول الرسول ص لما نزلت عليه هذه الآية ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتفكر فيها .

كما يقوم علم التوحيد بتثبيت قواعد الدين فيما يتعلق بالإلهيات والنبوات والسمعيات بإيراد الحجج حتى تستقر في نفوس المسلمين والمسترشدين منهم . كما يقوم بإلزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم . والرد على أصحاب الأديان والملل والنحل المخالفة لعقيدة الإسلام.

**حكم تعلم علم التوحيد:** حكم تعلم علم التوحيد الوجوب العيني على كل مسلم ومسلمة وذلك لأن ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب وقد علمنا أنه العلم الأعلى الذي تنتهي إليه

(١) سورة البقرة الآية: ١٦٤.

(٢) سورة آل عمران الآيتان: ١٩٠ – ١٩١.

العلوم ولهذا سمي بأصول الدين وسماه أبو حنيفة بالفقه الأكبر. فيكون حكم تعلمه الوجوب العيني على كل مسلم ومسلمة.

التوحيد رسالة كل نبي من لدن سيدنا آدم عليه السلام وحتى الرسالة الخاتمة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

## المبحث الثاني

## مصادر علم التوحيد

علم التوحيد هو أصل العلوم الإسلامية وبذلك يكون هو روح الإسلام فلا ينبغي أن تكون له مصادر غير مصادر الإسلام نفسه المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله وما أجمعت عليه أمة الإسلام.

**المطلب الأول: المصدر الأول كتاب الله**

المقصود بكتاب الله تعالى هو القران الكريم الذي يعتبر المعجزة الخالدة الباقية الدائمة المتحدي بها إلى يوم القيامة وهو أعظم معجزات النبي ﷺ وأعظم معجزة تعطى لنبي على الإطلاق. (هو اللفظ العربي المنزل على سيدنا محمد ﷺ المنقول إلينا تواترا، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه أو ببعض سوره منه أو بآية أو ببغضها إن ساوتها، المستنبطة منه الأحكام العقدية، والشرعية، والعلوم العقلية، المخبر بكثير من أحوال الأمم السابقة واللاحقة، المحفوظ من التغيير والتبديل. تحدى به النبي ﷺ الفصحاء والبلغاء من كفار مكة الذين نزل بلسانهم حال التنزيل وعجزوا عن معارضته ولجئوا إلى المجالدة بالسيوف وسفك الدماء. فكان أعظم برهان على رسالته وأعظم المعجزات على الإطلاق على صدق دعوته ﷺ.

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله (القران الكريم مما لا شك فيه هو المصدر الأول للعقيدة والشريعة وكافة الإحكام وهو الذي يعتمد عليه في كافة مباحث الدين. و تقرر أنه كلية الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الأبصار والبصائر ولا طريق لله سواه ولا اتجاه بغيره ولا يمسك بشي يخالفه وهذا معلوم من دين الله بالضرورة )[1] لهذا اهتم العلماء بالقرآن الكريم ووضعوا له الأحكام التي تيسر فهمه على حسب المناهج المتبعة وحددوا له الخصائص التي أمتاز بها عن أي كتاب غيره وحثوا على معرفتها.

**مسلك القرآن الكريم في مباحث العقيدة:** تناولت الآيات القرآنية المواضيع الأساسية في علم التوحيد. وبين الله في القرآن الكريم كل ما يتعلق بمباحث الإلهيات والنبوات والسمعيات وحقيقة الإيمان وتناول أيضا الكونيات ورد على الأديان المخالفة وغير ذلك مما يعد من صميم مباحث العقيدة.

يقول الإمام أبو الفخر الرازي في كتابه حجج القرآن: ( الآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية فقط أما البواقي ففي باب التوحيد والنبوة والرد على عبدت الأوثان وأصناف المشركين )[2].

ويقول الزركشي في كتاب البرهان في علوم القرآن: (ما من برهان في من كليات العلوم العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به. وقد يظهر في آيات المفصل دقيق الفكر وكثير ما يلجأ كبار علماء الحجج إلى الاستعانة به والاكتفاء بإيراد حججه).

(١) الموافقات للشاطبي ج٣ ص٢٠٠ تحقيق أبو علبدة مشهور ط ١ – ١٩٩٧ ج٣ ص٢٠٠.

(٢) التفسير الكبير للرازي ج ٢ ص ٨٠.

يقول الشيخ عبد الرازق : (لقد تعرض القرآن الكريم لمباحث التوحيد برفق ودعا إلى الاقتصار على كل ما تدعو إليه الحاجة).

مسلك القرآن الكريم في الدلالة على وجود الله تعالى يقوم على أساس من واجب العقل أن يدفع عنه المضار المحتملة. مع أن وجود الله تعالى أدل من أن يستدل عليه ومع ذلك نجد كثير من الآيات التي رد بها الله تعالى على من أنكر وجوده فساق دليل العناية ودليل الممكن والأدلة المستمدة من الشعور والحس ودليل الكمال. وغيرها من الأدلة الكثيرة التي تدل على وجوده تعالى.

ففي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [1] فيها إبطال لقول الفلاسفة والملاحدة بقدم العالم. وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [2] فيها دلالة على وجود الله تعالى وإشارة إلى قدرته ووحدانيته ومعجزاته. و ليس من اليسير حصر الآيات القرآنية التي تناولت صفاته تعالى. كما تنوعت الآيات الدالة على مخالفته للحوادث وعلى قدمه وبقائه واستغنائه تعالى عن الغير. وكلما بحثا أكثر في القرآن الكريم وجدنا تفصيلات أكبر في كل ما يتعلق بالله تعالى وفي سائر مباحث علم التوحيد.

(١) سورة الفرقان الآية ٥٩.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٦٤.

يقول حجة الإسلام الغزالي في جواهر القرآن: ثلاثمائة وستون أية من القرآن الكريم وردت في ذات الله وصفاته خاصة. منها ما يدل على وحدانيته في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (٢).

كما واجه القرآن الكريم المنكرين للنبوة بقوة والآيات في ذلك لا تحصى فنوع حججه ورد على منكري الرسالات ومنكري الوحي وأخبرنا عن حقيقة الوحي وعصمة الأنبياء والرسل وغيرها مما يتعلق بمبحث النبوات والمسائل المتعلقة بها.

وتنوعت الآيات الكريمة في توضيح مفردات الغيبيات التي خلقها الله تعالى وغيبها عنا ولا يمكن للعقل الإنساني مهما أوتي من حدة إثبات وجودها أو نفيها إلا عن طريق السمع المتمثل في مخلوقات كالملائكة والجم واليوم الآخر وما فيه من أهوال وكثرة الآيات الواردة في الموت والبرزخ والمعاد والبعث والحشر والسؤال والحساب وصحف الأعمال ونعيم الجنة وعذاب النار والجن والملائكة تدل على ذلك إذ لا مصدر لمعرفة هذه الحقائق إلا الوحي في الكتاب أو السنة.

أما ما يتعلق بالكونيات: وهي كل ما سوى الله تعالى من سائر مخلوقاته علوية كانت أم سفلية وتتلخص الكونيات حسب إدراكنا المحدود في الزمان والمكان والمادة.

(١) سورة الإسراء الآية: ٤٢.

(٢) سورة الشورى الآية: ١١.

كما نجد في القرآن الكريم أن الله تعالى وضع الزمن موضع التفكر والتدبر ذلك لأن الزمن كحقيقة كونية من آيات الله تعالى يستعصى على الفهم البشري الذي لا يعرف له إلا حقيقة نسبية تتمثل في زمانه المعدود بالساعات والأيام والشهور أما الزمن الكوني فذلك لم يقف عليه العقل البشري بعد.

كذلك يضع الله تعالى المادة في حقيقتها الكلية أمام النظر الإنساني ليتدبرها ويبحث عن مبتداها ومنتهاها وما بينهما من حركة وتغيير. قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

أمَّا المكان فيتعلق بالزمان والمادة ولو بحث إي إنسان عن وضعه في الزمان والمكان بالمقارنة مع الكون الواسع يدرك العجز التام والضآلة وقلة العلم. فالله تعالى وضع الزمان والمكان والمادة في مجال البحث والتفكر والتدبر ليتوصل بها الإنسان إلى إدراك مدى عجزه.

ولإدراك الحقيقة الكلية لوجود الله تعالى وإدراك صفات الجلال والكمال الخاصة به تعالى. فلنتدبر قوله تعالى مرة ثانية: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢).

(١) سورة العنكبوت الآية: ٢٠.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٦٤.

**مسلك القرآن الكريم في الرد على أصحاب الأديان والمذاهب الأخرى:**

اقتدى المتكلمون في تعرضهم لأقوال أصحاب الفرق الأخرى ومجادلتهم بالقرآن الكريم. تعرض القرآن لأهم النحل والأديان التي كانت منتشرة في عهد الرسول ﷺ ورد عليهم ونقض قولهم فنجد كثير من آياته تتناول الرد على معتقدات العرب فيما يتعلق بعبادة الأوثان وتعظيم الكواكب. كما تضمنت كثير من آياته الرد على النصارى واليهود والصابئة والمجوس.

**المطلب الثاني:المصدر الثاني السنة النبوية المطهرة**

**السنة في اللغة والاصطلاح:** السنة في القاموس المحيط تعني الوجه ودائرته وتعني الصورة وتعني السيرة. وفي لسان العرب تعني الطريقة المحددة وسن الماء إذا والى صبه[1]. وقال صاحب تفسير المنار: السنة هي السيرة حسنة كانت أم سيئة وتعتبر بمن تضاف إليه. وهناك فرق بين سيرة النبي ﷺ وسيرة أبي جهل لعنه الله.[2] وردت السنة في الكتاب وفي الحديث بمعنى السيرة الحسنة والسيئة الذميمة. ففي الحسنة ورد قوله تعالى: ﴿ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[3] وفي الحديث ورد قوله ﷺ عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهَّ -صلى الله عليه وسلم فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم « مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلاَمِ سُنَّةً

(١) لسان العرب لابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت ٧١١ دار صادر بيروت ط الأولى ج١٧ ص٦٠.

(٢) تفسير المنار الشيخ رشيد رضا ج٤ ص١٤٠ط٢ دار المعرفة بيروت.

(٣) سورة الأنفال الآية: ٣٨.

حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ »[1]. إذن السنة لا تنفصل عمن سنها.

**السنة في الشرع**: يختلف معنى السنة في الاصطلاح باختلاف تناولها عند العلماء:

**السنة عند علماء الحديث**: هي كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية وبعضهم يدخل ما هم فيه النبيﷺ أو أشار إليه وإن لم يتواتر عند الجمهور. يقول البدخشني (السنة هي كل قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية وردت عن النبيﷺ وأضاف البعض الهم والإشارة منه ﷺ وأدخل بعضهم قول الصحابي وأضاف البعض قول التابعي)[2].

**السنة عند الفقهاء**: يختلف تعريف الفقهاء للسنة تبعا لاختلاف أنظارهم وتفاوت إفهامهم. قال بعضهم السنة ما في فعله ثواب وما في تركه عتاب لا عقاب. وقال آخرون السنة ما في فعله ثواب و في تركه لا عقاب ولا عتاب. وقال آخرون السنة هي ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه[3]. قال ابن حزم السنة والنافلة ما يثاب فاعله ولا يذم تاركه.[4]

(١) صحيح مسلم العلم الحديث رقم ٢٣٩٨.

(٢) مناهج العقول في شرح مناهالإسنوي مناهج الوصول البدخشني ص ١٠٥ المكتبة الوقفية .

(٣) تحفة الأخيار في إحياء سنة الأبرار ص ١٤ محمد عبد الحي ط مكتبة المصطفاني الهند – ١٨٧١ م.

(٤) الأحكام في أصول الأحكام. لإبن حزم ص ٤٤ تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ط دار الآفاق الجديدة بيروت.

**السنة عند علما التوحيد:** تطلق السنة عند علماء التوحيد في قبالة البدعة. فمن كان فعله وفق عمل النبي ﷺ ومن تبعه بإحسان كان على السنة ومن خالفه كان على البدعة[1].

**وجوب إتباع السنة:** بما للسنة النبوية الصحيحة من مكانة عظيمة في نفوس المسلمين وتعتبر عندهم من الأمور المسلم بها ويجب عليهم إتباع كل ما جاء به ﷺ بعد ثبوت صدقه بأكثر من دليل على أنه رسول الله تعالى المبعوث إلينا بالهدى ودين الحق. وأنه خاتم النبيين. وفي القران الكريم كثير من الآيات التي توجب طاعة النبي ﷺ منها قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [3]وقال تعالى:﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [4] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [5] وكثير من الآيات التى تحث على طاعة الرسول ﷺ وأتباعه في جميع ما جاء به. نجد في السنة المطهرة كثير من الأحاديث التي تؤكد وجوب طاعته ﷺ منها قوله ﷺ ( عَنْ أنس بن مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صلى

(١) الموافقات للشاطبي ج٤ ص٢- ٣.

(٢) سورة آل عمران الآية :١٣٢.

(٣) سورة النساء الآية: ٦٩.

(٤) سورة آل عمران الآية: ٣٢.

(٥)سورة الحجرات الآية :١.

الله عليه وسلم قَالَ « تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللهَّ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ »[1]. وقوله ﷺ ( عَنِ الْعِرْبَاض بْنِ سَارِيَةَ قَالَ وَعَظَنَا رَسُولُ اللهَّ -صلى الله عليه وسلم يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلاَلَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ »[2]. وقال ﷺ (كان الْمِقْدَامَ بْنَ معد يكرب يَقُولُ حَرَّمَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ خَيْبَرَ أَشْيَاءَ ثُمَّ قَالَ « يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكَذِّبَنِى وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِى فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم كِتَابُ اللهَّ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ. أَلاَ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهَّ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُّ »[3].

إذن كل ما ثبت عن رسول الله ﷺ فهو حق ومصدق لا ريب فيه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[4].

**رتبة السنة في الاستدلال**: يرى الشاطبي أن رتبة السنة في الاستدلال هي التالي بعد الكتاب وذلك للأمور التالية

١- الكتاب مقطوع به في الجملة والسنة مظنونة. والمقطوع به مقدما على المضنون.

(١) موطأ الإمام مالك القدر حديث رقم ١٦٢٨ ط دار إحياء التراث العربي بيروت – ١٩٨٥.

(٢) سنن الدارمي لعلم حديث رقم ٢٨٩١ تحقيق حسين الداراني ط دار المغني للنشر والتوزيع – ٢٠٠٠ م.

(٣) مسند الإمام أحمد حديث العرباض ابن سارية رقم١٧٦٥٧ تحقيق حسين الأرنؤط الناشر مؤسسة الرسالة ٢٠٠١.

(٤) سورة النجم البيات (٣ – ٤)

٢- السنة بيان للكتاب أو زيادة عليه لهذا يقدم الكتاب. وإن كانت زيادة فلا تعتبر إلا إذا لم يوجد في الكتاب مثلها.

٣- يقدم الكتاب على السنة حسب ما جاء في حديث معاذ بن جبل ( عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ « كَيْفَ تَقْضِى إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ ». قَالَ أَقْضِى بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِى كِتَابِ اللَّهِ ». قَالَ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-. قَالَ « فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَلاَ فِى كِتَابِ اللَّهِ ». قَالَ أَجْتَهِدُ رَأْيِى وَلاَ آلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- صَدْرَهُ وَقَالَ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِى رَسُولَ اللَّهِ »)[١].

لكل هذه الأسباب يجب تقديم كتاب الله تعالى وأن تكون السنة التالي في الاستدلال.

**مكانة السنة من التشريع:** تعتبر سنة النبي ﷺ الموضحة والمبينة للقران الكريم تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [٢] يقول ابن تيمية: ( البيان التام هو ما بينه رسول الله فإنه أعلم الخلق بالحق وأنصح الخلق للخلق وأفصح الخلق في بيان الحق. فما بينه من كتاب الله هو الغاية من هذا الباب)[٣] يقول الإمام أبو اسحق ألشاطبي

(١) سنن أبي داود الأقضية حديث رقم ٣٥٩٤ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية صيدا لبروت – ٢٠١٠م

(٢) سورة النحل الآية ٤٤

(٣) منهاج السنة لابن تيمية ج٣ ص ٣٥٢ تحقيق محمد رساد سالم الناشر جامعة الإمام محمد لن سعود الاسلامية – ١٩٨٦

(السنة راجعة إلى الكتاب وهي تفصل مجمله وتبين مشكله وتبسط مختصره. وعليه فالسنة هي بيانا للقران الكريم.)[1] ويقول عمران بن حصين ( إن كتاب الله أبهم والسنة تفسر ذلك وتبينه)[2] لهذه الأسباب وغيرها كان اهتمام علماء الإسلام قد بلغ بالسنة منتهاه. تعريفا وتحديدا لأقسامها وتصحيحا لمتونها وطرق نقلها.

**مسلك السنة في مباحث العقيدة:** تناولت السنة النبوية أغلب الموضوعات الرئيسية في مسائل العقيدة وصح فيها كثير من مسائل العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وفي القدر والنبوات وحقيقة الإيمان والإسلام وفي أفعال العباد والعقاب على الكبائر وبيان الحسنات والسيئات والسمعيات وأشراط الساعة والموت وسؤال ونعيم وعذاب القبر والبعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار. إلا أنه جاء أيضا فيها أيضاً أحاديث ضعيفة وأحاديث متروكة و موضوعة. وثبت أيضا أن هنالك وضع لصالح بعض الفرق مما أثر في إذكاء الخلافات المذهبية وهذه الأحاديث الموضوعة لنصرة فرق بعينها أثارت كثيرا من الجدل وكانت مادة غزيرة في الخلافات الواردة في المباحث العقدية وفي علم التوحيد بصورة خاصة.

لهذا نجد العلماء قد تصدوا لها ووضعوا لها علم خاص يعني بالتفريق بين الحديث الصحيح وغيره أطلقوا عليه علم مصطلح الحديث. وتكفل هذا العلم بتصنيف الأحاديث ووضع القوانين التي تحدد الحسن منها والضعيف المقبول منها والمردود والموضوع والصحيح الذي ينسب إلى الرسول ﷺ. والجهل بعلم مصطلح الحديث قد ينشأ عنه الأخذ بالأحاديث

(١) الموافقات للشاطبي ج ٤ ص ٢٨

(٢) الموافقات للشاطبي خ ٤ ص ٢٦ – جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص١٩١

المكذوبة على النبي ﷺ ويسبب ذلك كثير من التعارض والاختلاف وعدم والانسجام مما يؤدي إلى خروج كثير من الفرق التي تأخذ بمثل هذه الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ إلى الخروج عن جادة الطريق.

وبحمد الله تعالى فقد ألف العلماء كثير من الكتب التي تجمع الصحاح من أحاديث النبي وأجمعت عليها الأمة مثل صحيح البخاري ومسلم وبقية الكتب الستة، كما كتب غيرهم كثير من الكتب في الموضوعات والأحاديث الضعيفة وجمعوا فيها ما أمكن مما وضعه الواضعين وبينوا طرق وضعهم وحددوا المناهج والطرق لمعرفة الأحاديث الموضوعة وكفونا مؤنه البحث والحمد لله. وعلى الباحث في العقيدة من مصدرها الثاني بعد أن يتحرى صحة الحديث كشرط أساسي لاستنباط القواعد العقدية من السنة يخضعها بعد ذلك لنفس شروط فهم القرآن من معرفة اللغة العربية والناسخ والمنسوخ وأسباب ورود الحديث وجمع الأحاديث الواردة في الباب الواحد وغيرها من شروط الأخذ من النصوص القطعية.

## المبحث الثالث

## مناهج استنباط الأحكام العقدية من القرآن الكريم والسنة النبوية

### المطلب الأول :منهج الراسخين في العلم

الحق أن القران الكريم كان وما زال أوسع أفقا وأغور عمقا من كل المباحث التي كتبت حوله ولا يزال يجد فيه الباحث سندا لكل ما يستجد في حياتنا اليومية فهل نتدبر آياته أم على القلوب أقفالها؟ و على من أراد استنباط الأحكام عقدية كانت، أم فقهية. في الأصول، أم في الفروع. من النصوص القطعية من الكتاب، أو من السنة. يجب أن تتوفر فيه شروط: أهمها معرفته باللغة التي نزل بها القرآن الكريم ودونت بها السنة المطهرة. قد جمع العلماء هذه الشروط التي بموجبها أن يحق للعالم أن يخوض في القرآن ويستنبط منه الأحكام ومن هذه الشروط:

**تعظيم النصوص الشرعية:**

حقيقة هذا التعظيم للنصوص الشرعية هو الاستسلام لأمر الله تعالى ونهيه والوقوف عند حدود ما نزل على نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) وقوله تعالى﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ

(١) سورة الحج الآية ٣٢.

(٢) سورة النور الآية ٥١.

أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[1] .

وقد سطر السلف الصالح أروع الأمثلة في الالتزام بأمر النبي ﷺ وتعظيمه والوقوف عند حدوده بدون زيادة ولا نقصان. أخرج مسلم :أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ حَدَّثَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِى رَهْطٍ مِنَّا وَفِينَا بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ يَوْمَئِذٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ ». قَالَ أَوْ قَالَ « الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ ». فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ إِنَّا لَنَجِدُ فِى بَعْضِ الْكُتُبِ أَوِ الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةً وَوَقَارًا للَّهِ وَمِنْهُ ضَعْفٌ. قَالَ فَغَضِبَ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ وَقَالَ أَلاَ أُرَانِى أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَتُعَارِضُ فِيهِ. قَالَ فَأَعَادَ عِمْرَانُ الْحَدِيثَ قَالَ فَأَعَادَ بُشَيْرٌ فَغَضِبَ عِمْرَانُ قَالَ فَمَا زِلْنَا نَقُولُ فِيهِ إِنَّهُ مِنَّا يَا أَبَا نُجَيْدٍ إِنَّهُ لاَ بَأْسَ بِهِ. يعني أنه ليس متهما بالنفاق[2].

وحدثنا أبو معاوية الغدير كان في مجلس هارون الرشيد فحدث بحديث أبي هريرة: عن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم – قَالَ « احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَ أَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ . قَالَ لَهُ آدَمُ يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلاَمِهِ ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ ، أَتَلُومُنِى عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَ اللهُ عَلَىَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِى بِأَرْبَعِينَ سَنَةً . فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى »[3] فقال أحد الحاضرين كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما ؟ قال فوثب هارون

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

(٢) صحيح مسلم حديث الإيمان حديث رقم١٦٦.

(٣) صحيح البخاري – القدر حديث رقم ٦٦١٤.

الرشيد وقال يحدثك عن الرسولﷺ وتعارض بكيف . فما زال يقول حتى قلنا ليته سكت.[1]

لو تتبعناها وأمثلة هذا عن سلفنا الصالح لوجدناها كثيرة جدا. يقول الطحاوي (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام ، فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه. حجبه ذلك عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان).

**معرفة اللغة العربية:**

من أهم ركائز فهم الكتاب التدقيق في فهم النصوص الشرعية. التي تعتبر الركيزة الرئيسة لصحة الاستدلال. ولا يستطيع المرء أن يعرف مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ إلا بعد أن يستقيم فيها فهم دلالة الكتاب والسنة. وكثير من البدع والضلالات إنما حدثت بسبب قلة العلم بلغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم مما أدى إلى أغلب سؤ الفهم فيه.

ولكي تفهم دلائل الكتاب والسنة على الوجه الصحيح لا بد من معرفة لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم وخاطب بها الرسول ﷺ أصحابه. لهذا تواتر اعتناء علماء الأمة وأئمتها بلغة العرب حتى يتضح خطاب الشارع ويوضع في موضعه اللائق به شرعاً.

**جمع النصوص الواردة في الباب الواحد:**

تحتل النصوص الشرعية وحدة واحدة يكمل بعضها بعضاً فكلها خرجت من مشكاة واحدة لا يمكن أن يتطرق إليها التناقض أو الاختلاف يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

(١) مجمل عقيدة السلف الصالح ص١١٧ صالح الفوزان المكتبة السبفية المصورة.

(٢) سورة فصلت الآيتان ٤١ – ٤٢.

ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (١) ولو تعذر ذلك فلا يجوز أن يؤخذ نص ويترك نص آخر من الباب نفسه فهذا سوف يؤدي إلى تقطيع النصوص وبترها قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

في هذا الباب يقول بابن تيمية: إذا ميز العالم بين ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وما لم يقله، فإنه يحتاج أن يفهم مراده، ويفقه ما قاله، ويجمع بين الأحاديث، ويضم كل شكل إلى شكله، فيجمع بين ما جمع الله بينه ورسوله، ويفرق بين ما فرق الله بينه ورسوله. فهذا هو العلم الذي ينتفع به المسلمون، ويجب تلقيه وقبوله، وبه ساد أئمة المسلمين كالأربعة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين(٣).

قال الشاطبي ومدار الغلط في هذا الفصل وهو الجهل وإن مآخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين في العلم أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المترتبة عليها . المرتب على خاصها ومطلقها المحمول على مقيدها ومجملها المفسر بينها إلى ما سوى ذلك من مناحيها(٤).

(١) سورة النساء الآية: ٨٢.

(٢) سورة البقرة الآية: ٨٢ .

(٣) مجموع الفتاوي ج٢٧ ص٣١٦ ابن تيمية الناشر مجمع الملك فهد بطباعة المصحف الشريف – ١٩٩٥ م .

(٤) الموافقات ج١ ص ٢٤٥.

وعليه يجب ترتيب النصوص الواردة في الباب الواحد كلما ظهر ما يوهم التعارض بواحد من طرق الجمع المعتمدة عند العلماء. التي ذكرها الإمام الشاطبي منها: رد العام على الخاص ، رد المطلق على المقيد ا رد المجمل على المبين. رد المتشابه إلى المحكم. أو الترجيح بين النصوص التي ذكرها علماء الأصول إذا تعذر الجمع بين متعارضين. فإن لم يستطع الدارس الجمع أو الترجيح فإنه يتوقف حتى يتبين له الأمر.

**معرفة أحكام القرآن الكريم:**

كذلك أوجب العلماء على كل دارس مجتهد ممن أراد الخوض في استنباط الأحكام عقدية كانت أم فقهية من الكتاب معرفة أحكامه التالية:

١- **معرفة أسباب النزول**: وهي معرفة مقتضى حال الخطاب. وهي رافعة كثير من الإشكالات والجهل بها يوقع في الشبه والمشاكل التي بموجبها يحصل الخلاف والنزاعات.

٢- **معرفة الكلي والجزئي**: أغلب أحكام القرآن كلية وليس جزئية والقرآن جامع لأمور العقيدة والشريعة والحلال والحرام. ومع ذلك نجد أغلب أحكام العبادات والعقائد لم تبين تفاصيل أحكامها. وإنما بينتها السنة بعد أن تضمنها الكتاب في الجملة وما خرج منها بينه الإجماع.قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١)

(١) سورة النحل الآية: ٤٤.

٣- معرفة الناسخ والمنسوخ: ومعرفته من تمام فهم الشريعة فمن أراد الخوض في أصولها من الكتاب والسنة فلا يتجاهل الناسخ والمنسوخ وهو علم له أصوله المبني عليها.

٤- **معرفة الظاهر والباطن**: في القرآن ظاهر وباطن وأثبت العلماء أن الظاهر في القرآن هو المفهوم العربي لجملة القرآن. والباطن هو مراد الله تعالى من خطابه.فلا يفهم الباطن إلا بمقتضى الظاهر ومن أراد غير ذلك فهو إثبات أمر زائد على ما هو مفهوم عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان من بعدهم.

٥- **معرفة المحكم والمتشابه في القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١) ومن الواضح أن في الآية دعوتان دعوة للتسليم وأخرى إلى الاجتهاد في فهم المتشابهات في القرآن. وقد اجتهد العقل المسلم في فهم المتشابهات ولكنه راعى ما يقصده الاجتهاد من صون العقيدة . ومع ذلك لم يقطع أحد من الراسخين في العلم ومن الذين امتلكوا ناصيته بأن ما توصلوا إليه من اجتهاد في معرفة متشابه القرآن هو عين مراد الله تعالى.ولكنهم فتحوا باب الاجتهاد على مصراعيه لكل مجتهد أعلم يأتي من بعدهم

(١) سورة آل عمران الآية: ٧.

**معرفة مقاصد الدين**: من فضل الله تعالى ورحمته أن شرع جميع الأحكام لمقاصد وغايات جميعها تصب في مصالح العباد إمَّا في دنياهم أو في آخرتهم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) وهذه الرحمة نجدها في أصل الخلق كما هي في تعليل تفاصيل الإحكام في الكتاب والسنة وهي أكثر من أن تحصى. عليه فإن معرفة مقاصد الشريعة وغايات الأحكام تفيد المجتهد في تصور الأحكام تصوراً كاملاً ومن ثم يستطيع تقدير المصالح الموازية بينها والنوازل. ووضع الأمور في مواضعها اللائقة بها شرعاً وعقلاً.

**الأسوة الحسنة**: للصحابة منزلة جليلة شرفهم بها الله تعالى فقد قال فيهم الحق عز وجل﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (٤) قال ابن مسعود ( من كان منكم متأسيا فليتأس

(١) سورة يونس الآية: ٥٧.

(٢) سورة الانبياء الآية: ١٠٧.

(٣) سورة الفتح الآية: ٢٩.

(٤) سورة التوبة الآية: ١٠٠.

بأصحاب محمد ﷺ . يقول ابن حزم : فمن أخبر الله تعالى أنه علم ما في قلوبهم ورضي عنهم وأنزل السكينة عليهم. فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم:

**التوسط والاعتدال**: التوسط والاعتدال في العقيدة هو الذي عليه أهل السنة والجماعة والسلف لهذا إن فهم القرآن الكريم يجب أن يكون بالتوسط ومن خرج عن حد التوسط كان بين الإفراط والتفريط وكلا الحدين غلو ذميم منهي عنه.

**عدم إعمال الرأي المجرد في فهم النصوص**: لا ينبغي إعمال الرأي المجرد في فهم القرآن. خاصة فيما بينه الكتاب أو ما بينته السنة. أما ملا نص فيه أم ما اشتبه على الفهمأ فهو متروك لأولي الألباب ولمن يعلم بكلام العرب والراسخين في العلم ومن له تمرس وعلم بشروط الاستنباط.

فالله تعالى كرم بني آدم في كثير من آيات القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [1] إلا أنه حذر من الاسترسال في العقول فالعقل الإنساني قاصر بطبيعة الحال. ويلزم من ذلك بأن لا يجعل من العقل حاكما بإطلاق وقد علا عليه الشرع. بل يجب على المسلم أن يقدم ما حقه التقديم وهو الشرع ويؤخر ماحقه التأخير. لهذا قالوا: اجعل النقل يمينك والعقل يسارك وأن لا تقدم العقل بين يدي الشرع بل يجب أن يكون ملبيا وراء وراء وراء. وعليه لا ينبغي إعمال الرأي المجرد في استنباط الإحكام من القرآن الكريم.

(١) سورة الأنفال الآية: ٢٢.

**المطلب الثاني: مناهج الزائغين المخالفين للسنة والجماعة:**

بعد أن تبين المنهج الحق في الاستدلال وطرق إتباعه وضح أن طريق الراسخين في العلم معلوم وبعد أن بسط أهل العلم والأصول القول في هذا الطريق كان لا بد من حصر مآخذ الزائغين حتى نعلمها ونتجنبها كما بينا أن للراسخين في العلم طريق تسلك.

يقول الإمام الشاطبي ولنبين طريق الزائغين فلا بد من النظر في آية من القرآن الكريم وهي قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [1] وقد بينت هذه الآية أن طريق الحق واحد وطرق الباطل متعددة وهذا التعدد لم يحصر بعدد.

كذلك يجب النظر إلى الحديث المفسر لهذه الآية: عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهَّ -صلى الله عليه وسلم- خَطًّا ثُمَّ قَالَ « هَذَا سَبِيلُ اللهَّ ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ - ثُمَّ قَالَ - هَذِهِ سُبُلٌ - قَالَ يَزِيدُ - مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ». ثُمَّ قَرَأَ: (﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [2]. ففي الحديث أنها خطوطا متعددة ولا سبيل إلى حصرها من جهة النقل ولا من جهة العقل والاستقراء يؤكد ذلك . ذلك لأن الزيغ راجع إلى الضلالات والجاهلات غير محصورة . كذلك لو نظرنا إلى البدع نجدها تزداد على مر الأيام ولا يأتي زمان إلا صاحبته بدعة غريبة تحدث . وكل زمان يأتي يكثر فيه الجهل بأمر الدين ويقل العلم[3].

(١) سورة الأنعام الآية: ١٥٣.

(٢) مسند الإمام أحمد حديث ابن مسعود رقم ٤٢٢٥.

(٣) الاعتصام ج١ ص ٢٢٤ تحقيق سليم بن عيد الهلالي الناشر دار بن عفان السعودية - ١٩٩٢ م .

وعليه فإن مناهج المبتدعة على اختلاف فرقهم إن لهم أصولا عامة في المنهج يشتركون فيه يعرف بمنهج المبتدعة.

ويمكن أن نحدد ملامح هذا المنهج وقواعده الكلية التي يعتمد عليها أغلب أهل الزيغ في مآخذهم:

**اعتمادهم على الأحاديث الضعيفة**: من الزائغين من المبتدعة وأصحاب الغايات والجهلاء من يعتمد على الأحاديث الواهية الضعيفة والمكذوب فيها على رسول الله ﷺ وأمثال هذه الأحاديث لا يقبلها أهل صناعة الحديث . ومنهم من لا يكذب على رسول الله ﷺ ولكنهم يرون الكذب . إما مع علمهم أنه كذب وأما جهلا به. فهم لا يعتنون بدراسة المنقولات ولا تحري صحتها من ضعفها فهم سواء وقد جر مثل هذا التساهل والتفريط على الأمة بلاء كثيراً(١).

**رد الأحاديث الصحيحة**: كذلك نجد أصحاب الهوى والزيغ والبدع يغلب علهم رد الأحاديث الصحيحة التي لا تتوافق مع أعراضهم ومذاهبهم . بزعم أنها مخالفة للعقول رغم صحتها. لهذا أوجبوا ردها . مثل المنكرين لعذاب القبر والصراط والميزان فيردون الأحاديث الواردة في فيها . ولم يردوها إلا لينتصروا على مخالفيهم .أو لينفروا الناس من إتباع السنة وأهلها. ومنهم من رد أحاديث الآحاد جملة. واقتصروا فيها على ما استحسنته عقولهم فقط.

وقد بالغ بعض الضالين في رد الأحاديث ورد قول من أعتمد عليها حتى عدوا القول بها مخالفا للعقل وعدوا القائل بها من الجانيين(٢). ولعل من أوضح الأمثلة ما نسب إلى عمر بن

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٢ ص٩٥.

(٢) الاعتصام للشاطبي ج١ ص٢٢.

عبيد حين ذكر حديث الصادق المصدوق فقال: ( لو سمعت من زيد بن وهب ما صدقته ولو سمعته من ابن مسعود يقول هذا لما قبلته ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لقلت ليس على هذا أخذت ميثاقا) [1] وقال لو كانت تبت يدا أبي لهب وتب في اللوح المحفوظ لم يكن لله على العباد حجة) [2] وبمثل هذا يتجرأ المبتدعة برد النصوص الثابتة والمحكمة.وأمثالهم من زنادقة العصر الحديث وكثيرون من الملاحدة والعلمانيين وأشباههم الذين بلغت بهم الجرأة حدا عظيما والعياذ بالله.

**تحرضهم على القرآن والسنة النبوية بغير علم باللغة العربية**: يقول الإمام الشاطبي الذين هم يفتون وهم في عرو من العربية التي بها يفهم مراد الله تعالى ورسوله إنما يخالفون منهج الراسخين في العلم ويظنون أنهم من أهل الاجتهاد وهم ليس كذلك . فمنهم من أحل شحم الخنزير بحجة أن الله ذكر اللحم دون الشحم ولم يدري أن كلمة اللحم في اللغة تتضمن الشحم أيضاً . ومنهم من لا يعرف الخصوص والعموم في اللفظ وبقية أسرار العربية. وأمثال هؤلاء لا يعبأ بهم ولا باستدلالاتهم ولا يعد خلافهم خلاف بل هم أصحاب البدع وإتباع الهوى.

**انحرافهم عن الأصول الواضحة**: ومن مآخذ أهل البدع انحرافهم عن الأصول الواضحة ويتبعون المتشابهات التي لم يتفق عليها أصحاب العقول . وقد قال العلماء : إن كل دليل فيه اشتباه ليس بدليل في الحقيقة حتى يتبين معناه ويظهر المراد منه كما يشترط أن لا يعارضه دليل قطعي.

---

(١) ميزان الاعتدال ج٣ ص٢٧٨ للامام الذهبي تحقيق علي محمد البجاوي الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – ١٩٦٣ م .

(٢) المصدر نفسه.

وبهذا تسلط المحرفون على النصوص وقالوا نحن نتأول. وسموا التحريف تأويلا تزينا له وزخرفة ليقبل. قال تعالى في أمثالهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١) فالعبرة للمعاني وليس للألفاظ فكم من باطل أقيم على دليل باطل مزخرف عورض به دليل الحق.(٢)

**ادعاءهم تناقض بعض الأحاديث لبعضها أو مناقضتها للقرآن الكريم:** ومن مآخذ أهل البدع على الأحاديث الصحيحة أنها مناقضة لبعضها البعض أو مناقضة للقرآن الكريم. ولهذا فهم يقولون أنها مخالفة للعقول. وأوردوا الأمثلة من بعض ما يوهم التعارض في الأصول.

في الحقيقة ليس هناك تعارض ففي مثل هذه الحالات نبحث في النصوص فإن كان يمكن الجمع بينها أم لا. ولكل واحد من الأحاديث الصحيحة التي ذكروها لها طرق علاجها ولا تعارض.

**تحريف الأدلة الواضحة عن مواضعه:** إن تحريف النصوص ظاهرة خطيرة جدا سلكها كثير من المبتدعة بدرجات متفاوتة . ويتبعون في ذلك ضلالات اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

فنجدهم إذا ورد الدليل عندهم على مناط فيصرفونه على مناط آخر ليوهموا أن المناطين واحد . وذلك من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله.

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١١٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٢ لابي العز الحنفي تحقيق شعيب الارتووط – ١٩٩٧ م.

(٣) سورة البقرة الآية :٧٥.

فمثل هذا التحريف تشويه للنصوص وتكثير للمنابع يتيح للمبتدعة العبث في دين الله تعالى.

**الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه:** من البدعة أن ينظر المرء إلى النصوص من زاوية واحدة . مما يؤدي إلى كثير من الخلط والاضطراب . كمن أخذ نصوص الوعيد من القواطع وتجاهل نصوص الوعد وفهموها على غير مرادها وغلبوا جانب العقوبة على جانب الرحمة . وراحوا يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم بغير حجة ولا برهان .

وفي المقابل أخذ آخرون نصوص الوعد وتركوا نصوص الوعيد وفهموها على غير مرادها وغلبوا جانب الرجاء على جانب الجزاء والعدل .

وإزاء هذا التفريط والإفراط توسط الراسخون في العلم وأخذوا بجميع الآيات الواردة وألفوا فيها تأليفاً يزيل الإشكال.

**استدلالهم بالنصوص للاعتضاد لا للاعتقاد:** كثير من المبتدعة تكون مآخذهم للأدلة تابعة للهوى. فهم لا يعظمون النصوص الشرعية ولا يستدلون بها إلا إذا رأوا منها شيئا يوافق أهواءهم . قال ابن العز الحنفي: كل فريق من أهل البدع يعرض النصوص على بدعته فما وافقه قال أنه محكم وقبله وأحتج به وما خالفه قال أنه من المتشابه ثم رده وسمى رده تأويلا. فلذلك اشتد إنكار أهل العلم عليهم(١).

يقول ابن تيمية: صار أهل التفرق والاختلاف شيعًا. صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه؛ فلهذا تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما،

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٩٩.

ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى؛ إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن؛ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول، بل أن يدفع منازعه عن الاحتجاج بها[1].

**تأويل النصوص الظاهرة من الشريعة على تأويلات لا تعقل:** اشتهر الباطنية بتأويلات لا تعقل ولا تستند إلى إي أصول غير أصولهم التي ابتدعوها هم . يقول الإمام الشاطبي: ادعى الباطنية أن تأويلاتهم هي المقصودة وليس ما يفهم من سياق لغة القرآن العربية أو ما يفهمه أرباب اللغة من اللفظ والتركيب فيها.

إن أمثال هذه التأويلات تؤدي إلى إبطال الشريعة جملة وتفصيلا وتشيع بين الناس هدم الدين. وهم تتحايل عليه خوفا من الحكام والناس. فيصرفون الناس عن ظاهر النصوص ويدعون أن لها باطن وهو المعني. أما الظاهر فليس هو مراد الشرع. لذلك أنكروا كل ما ورد في الشرع من تكاليف ولهم في ذلك أمثلة كثيرة في رد التكاليف العملية والعقدية وأمور الآخرة السمعية. وكل ذلك يصب في إبطال الشريعة جملة وتفصيلا.

وقد اتخذ هذا المنهج جل الباطنية الثنوية والدهرية . ومن صفاتهم أنهم يتمسكون بعلم الحرف والقول بالأئمة المعصومين . وقد رد عليهم الإمام الغزالي في كتابه الجيد( فضيحة الباطنية) وابن العربي في كتابه ( العواصم من القواصم).[2]

من سياق هذه الآيات نجد أن الاعتماد على الأصول الثلاثة المعصومة إجماعا هو أساس الدين الإسلامي.

(١) الفتاوى ج١٣ ص٥٨.

(٢) الاعتصام ج١ ص ٢٥٣.

**الخاتمة**

تم بحمد الله تعالى بحث المنهجية التي ينبغي أن تقوم عليها دراسة كافة ضروب العقيدة الإسلامية وأرجوا أن تكون مساهمتي ذات فائدة خاصة لغير المتخصصين ودافعا للمهتمين بأمر العقيدة لتطبيقه حتى تتوحد المصادر ومناهج استنباط الأحكام فقهية كانت أم عقدية لتنعم الأمة الإسلامية بوحدة موضوعية في دراسة الدين الإسلامي حتى لا يتفشى الخلاف المنهي عنه ولا يبقى إلا الاختلاف الجائز الذي يثري الثقافة الإسلامية ويقودها إلى التطور المثمر الذي يعود على الأمة بالخير والبركة.

**أهم النتائج:**

في هذه الدراسة تبين أنه كما للراسخين منهجا يتبعونه كذلك للزائغين مناهجهم التي تقود إلى فساد العقيدة. كما وفي هذه الدراسة.

١- تبيين لمنهج الراسخين في العلم و طرق الوصول إليه

٢- تبيين ملامح مناهج الزائغين فعلى كثرتها ولكن هناك قواعد مشتركة تجتمع عند أغلبهم .

**التوصيات:**

هذه دراسة تشتمل على أهمية دراسة العقيدة الإسلامية ومناهجها وقد بينا فيها مباحث العقيدة أوصي الباحثين بتطبيق منهج الراسخين في العلم والابتعاد عن مناهج الزائغين في تطبيق هذا المنهج على مباحث العقيدة الإسلامية .